

تعليقات ومناقشات

تفعيد قاعدة نحوية

"إضافة الجهات الأربع"

الأستاذ صبحي البصام

١ - إضافة الجهات الأربع:

يدلني استقرائي للغة العرب الفصحاء ومن اقتدى بهم على أن الجهات الأربع الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكلها بفتح أولها، إذا أضيفت فالأكثر أن يلحق بآخرها ياء النسب المشددة. فمثلاً يقال في قرية (هي غربي الموصل)، على أنه يقال أحياناً (هي غرب الموصل) بحذف الياء، ويقال (مات في شرقي بغداد ودُفن في غربيها)، ويقال أحياناً (مات في شرق بغداد ودُفن في غربيها)، ويقال (تحوّلت من شمالي عمان إلى جنوبيها)، ويقال أحياناً (تحوّلت من شمال عمان إلى جنوبها)، فإذا أضيف اسم من أسماء الجهات الأخرى لم يلحق بآخره الياء المشددة، فمثلاً يقال (وقفت أمام الشجرة ثم قعدت تحتها)، ولا يقال: (وقفت أمامي الشجرة ثم قعدت تحتها). وأنا ذاكر ههنا شواهد للجهات الأربع تؤيد ما ذهب إليه:

٢ - مما ألحق بآخره ياء النسب:

أ - نحو شرقي:

قول زهير بن أبي سلمى (الديوان):

ثم استمروا وقالوا إن مشربكم ماءً بشرقي سلمى فيد أو فدك

وقول مالك بن الريب (معجم ما استعجم ج ٤ - المنيفة):

بين المنيفة حيث استنّ مدفعها وبين فردة من شرقها قبلاً

وقول مطرود بن كعب (معجم ما استعجم ج ٣ ص ٩٩٧):

وميت أوجعني فقدّه ميات بشرقي البنيات

وقول جرير (الديوان ص ٤٩٣):

هبت شمالاً فذكرى ما ذكرتكم إلى الصفاة التي شرقي حوراناً

وقول عدي بن الرقاع (الديوان ص ٤٤):

أتعرف بالصحراء شرقي شابك منازل أعراها الأنيس وملعباً

وقوله أيضاً (الديوان ص ٦٥):

ثم اكفهرت شريقي اللوى وأوى إلى تواليه من سفاره رفق

وقول مليح الهذلي (معجم البلدان - زيزاء):

ومن دون ذكراها التي خطرت لنا شرقي نعمان الشرى والمعرف

وقول قيس المجنون (أمالى القالى ١/١٣٦):

سقى طلل الدار التي أنتم بها شرقي لبنى صيف وريبع

وقول الطُّرمّاح (الشعر والشعراء ٥٦٨/٢):

فخرت بيوم العقر شرقيّ بابل وقد جنبت فيه تميمٌ وفلّيت

وقول إسماعيل بن عمار الأسدي (معجم ما استعجم ٥٩٦/٢ - دبر اللج):

ما أنس سعدة والزرقاء يوم هما باللج شرقيّه فوق الدكاكين

وقال أبو نواس (الديوان):

ولم أدر من هُم غير ما شهدت به بشرقيّ ساباط الديار البسابس

وقول بعضهم في قصر ابن هبيرة (تأريخ الطبري ٧): (وكان شرقيّ الكوفة مما يلي بغداد).

وقول الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (صفة جزيرة العرب ص ٤٣٦): (وادي جِلْدان منقلب إلى نجد شرقيّ الطائف يسكنه بنو هلال).

وقول ياقوت الحموي في معجم البلدان في (أسوان): (في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل من شرقيّه)، وقوله في الكتاب نفسه في (تدمير): (وهي شرقيّ قرطبة).

ب- ونحو غربيّ:

قول ابن حزم الأندلسي (طوق الحمامة ص ٧٧): (قال لي فتنزّهنا يوماً إلى بعض ضياعنا بالسهلة غربيّ قرطبة).

وقول الصغاني (التكملة والذيل والصلة ٣١٥/١): (الزيتون قريبة على

غربيّ النيل).

وقول أبي الفداء (مجاني الأدب ٢٠٧/١) (وهي في ذيل الجبل من غربيّه)، وقوله (مجاني الأدب ٢١٠/١): (والجبال من غربيّ المدينة).

وقول ابن حوقل (صورة الأرض ص ٦٠) (وأما الغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب من غربيّه).

وقول القزويني في (إفرنجة) (مجاني الأدب ٢٢٤/١): (في آخر غربيّ الإقليم السادس).

وقول أبي عبيد السكوني في (أجأ) (تاج العروس ٤٠/١ بولاق): (أحد جبلي طييء وهو غربيّ فيد).

وقول ياقوت الحموي في (الأنبار) (معجم البلدان - الأنبار): (مدينة على الفرات في غربيّ بغداد).

وقول ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون ص ٥٣) (الإقليم الأول وفيه من جهة غربيّه الجزر الخالدات).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٢٢/٢ بولاق) في نبذة: يقال لها في الأندلس (بَيْنَب): (ويُدبغ بها الجلود بغربي بلاد الأندلس). على أننا سنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

وقول أحمد المقرئ التلمساني في الجزر الخالدات (نفح الطيب): (وهي غربيّ مدينة سلا). وسنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

ج- ونحو شمالي:

قول الصغاني (التكملة والذيل والصلة ٤٥٩/١): (صهرجت قريتان من قرى مصر شمالي القاهرة).

وقول الفيروزآبادي (القاموس - العمود): (والعمادية قلعة شمالي الموصل).

وقول أبي الفداء في نصيبين (مجاني الأدب ٢١٥/١): (في شماليها جبل كبير).

وقول ابن خلدون في جزيرة إنجلترا (مقدمة ابن خلدون ص ٧٧): (ووراء هذه الجزيرة في شمالي الجزء الثاني جزيرة رسلانده).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٧١/٢): (وقد شاهدت نباته... بالضيعة المعروفة بكفر السلوان شمالي الضيعة المعروفة).

أما (شمال) بمعنى اليد اليسرى فلا تلحقها ياء النسب المشددة عند إضافتها لأنها ليست من الجهات الأربع، جاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: (شمال بني آدم) وذلك في تفسير قوله تعالى: (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) (ق/١٧).

د- ونحو جنوبي:

قول أبي الفداء في الموصل (مجاني الأدب ٢١٤/١): (في جنوبي الموصل يصب الزاب الأصغر إلى دجلة).

وقول ياقوت الحموي في أندرين (معجم البلدان - أندرين): (اسم قرية في

جنوبي حلب). وقوله في معجمه أيضاً في (التبر): (والإيها ينسب الذهب الخالص وهي في جنوبي المغرب).

هـ- النصوص المذكورة آنفاً:

فالنصوص التي ذكرتها آنفاً، وهي أربعة وأربعون نصاً، تشهد لإثبات ياء النسب المشددة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، عشرة منها هي لتسعة من العرب القدماء الفصحاء المستشهد بلغتهم، والباقي منها هو لثلاثة عشر من المولدين وأكثرهم من المعروفين بجودة لغتهم.

٣- مما لم يلحق بآخره ياء النسب:

أ- نحو شرق:

قول المتنبي (سركات المتنبي ومشكل معانيه ص ١٠٣):

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك الركاب والسبل

وقول ابن الخياط الدمشقي (الديوان ص ١٧٧):

من الزهر لا يلفين إلا كواكباً طوالع في شرق الزمان وغربه

وقول علي بن محمد الهمداني في اشتياقه إلى بغداد (تأريخ بغداد ٥٢/١):

فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيرت رحلي بينها وركابها

وقول الطبيب أبي العباس النباتي (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

٥/١): (بشرق بلاد العدو).

وقول ابن البيطار في الكتاب نفسه (١٧٨/١): (وهي تربة العسل عند أهل شرق الأندلس).

وقول لسان الدين بن الخطيب:

ضاق عن وجدي بكم رجب الفضل لا يبالي شرقه من غربه

ب- ونحو غرب:

قول لسان الدين بن الخطيب المذكور آنفاً وفيه: لا يبالي شرقه من غربه.

وقول علي بن محمد الهمداني المذكور آنفاً وفيه: فقد طفت في شرق البلاد وغربها.

وقول ابن الخياط الدمشقي المذكور آنفاً وفيه: طوالع في شرق الزمان وغربه.

ج- ونحو شمال:

قول أحمد المقرئ التلمساني في جزيرة برطانية (نفح الطيب ١٦٧/١): (وهي بوسط البحر المحيط بأقصى شمال الأندلس).

د- ونحو جنوب:

قول النابغة الذبياني (طراز المجالس ص ٢٦٣ - طبعة قديمة):

وَقُلْنَ لِحَا الله رَبِّ الْعِبَاد جنوب السخال إلى يترب^(١)

(١) يترب بالتاء المثناة من فوق قرية باليمامة.

وقول زفر بن الحارث الكلابي (مجلة البلقاء، الجامعة الأهلية بعمان، العدد ١٥٦/٢ أيار ١٩٩٢):

فجنوب عكا فالسبواحل إنـها أرض تذبوب بها اللقاح وتهزل

وقول بعضهم (أساس البلاغة ص ٤٤٨):

نَجَمَن أنوار الربيع لمأسـل فلذي قضين إلى جنوب الساحل

وجوز الأستاذان محمد جواد النوري وعلي خليل أحمد في مجلة البلقاء (العدد ٢١٤/٢ - أيار ١٩٩٢) أن يكون البيت ملفقاً من بيتين، وذكر البيتين، فلم يكن فيهما (جنوب)، ومع ذلك، فرواية (جنوب) في هذا البيت شاهد يعول عليه.

وللشريف المرتضى بيت هو في (طيف الخيال ص ١٣٠) وهو:

وطيف منكم بجنوب نجد أراني من زيارتكم مثالا

وفيه (جنوب) بضم فضم وكأنها جمع (جنوب)، كحد، وحُدود، وسهوب وسهوب. وأفاد محقق الكتاب الأستاذ حسن كامل الصيرفي أنها في أصل الديوان (بنجوب). قلت: فالبيت فيه موضع للأخذ والردّ والأولى أن لا يتخذ شاهداً.

هـ- النصوص المذكورة آنفاً:

فالنصوص التي مرّت بنا آنفاً، وهي عشرة نصوص، تشهد لجواز أن يُغفل استعمال ياء النسب المشددة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، نصان منها لشاعرين قديمين فصيحين يستشهد بلغتهما، ونص ثالث يدل على قدم قائله

وأصالة لغته، وما بقي من النصوص هو لسبعة من المولدين.

٤ - تَقْعِيدُ قَاعِدَةِ نَحْوِيَّةٍ:

وقد قَعَدْتُ مما تَقْدَمُ قاعدة نحوية حقها أن تكون في باب الإضافة من كتب النحو وهي:

إذا أُضِيفَتْ جِهَةٌ مِنْ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمَالِ وَالْجَنْسُوبِ،
وَكُلُّهَا بَفَتْحٍ أَوَّلُهَا، فَالْأَكْثَرُ أَنْ يُلْحَقَ بِآخِرِهَا يَاءُ النَّسَبِ الْمَشْدَدَةِ، كَقَوْلِ زَهِيرِ بْنِ
أَبِي سَلْمَى:

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا إِنَّ مَشْرِبَكُمْ مَاءً بَشْرَقَسِيَّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْ فَذَكُ

وقول مالك بن الريب:

بَيْنَ الْمُنِيفَةِ حَيْثُ اسْتَنْ مَدْفَعُهَا وَبَيْنَ فَرْدَةٍ مِنْ شَرْقِيَّتِهَا قُبْلَا

وقلما يغفل إثبات ياء النسب في آخرها عند إضافتها، كقول النابغة
الذبياني:

وَقُلْنَ لِحَا اللَّهِ رَبِّ الْعِبَادِ جَنُوبَ السِّخَالِ إِلَيَّ يَسْتَرْبِ

تَعْلِيْقُ:

إِنِّي وَضَعْتُ نَصُوصَ الْيَاءِ الْمَشْدَدَةِ فِي كِفَةِ الْمِيزَانِ، وَوَضَعْتُ النُّصُوصَ
الَّتِي بَلَا يَاءَ مَشْدَدَةٍ فِي الْكِفَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْمِيزَانِ، فَلَمَّا رَجَحْتُ كِفَةَ الْيَاءِ الْمَشْدَدَةِ،
وَشَالَتُ الْكِفَةَ الْأُخْرَى، جَعَلْتُ الْقَاعِدَةَ عَلَى النُّحُو الْمَذْكُورِ أَنْفَاءً. فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ
يَجْمَعَ مَزِيداً مِنَ النُّصُوصِ لِلْكَفَتَيْنِ، وَهُوَ جَادٌّ وَأَمِينٌ فِي جَمْعِهِ، بِمَا يَجْعَلُ الْكَفْسَةَ

الشائنة هي الراجحة، أو بما يجعل الكفتين متعادلتين، فليأتنا بنصوصه، فعندئذ تعدل القاعدة بمقتضى ذلك، وما أظن ذلك بكانن.

٥- القاعدة وأدباء العصور الحديثة:

ولا أتذكر أنني رأيتُ أحداً من أدباء العصور الحديثة يلحق ياء النسب بآخر جهة من الجهات الأربع عند الإضافة، كأنهم لم يفتنوا بها، أو كأنهم أثروا التخفيف والاختصار، مقتدين بقدماة فصحاء كالنابغة الذبياني، وذلك منهم صحيح فصيح. وممن لم يلحقها مترجم الكتاب المقدس إلى العربية. جاء في ترجمته له (وتبعهم إلى جونة التي شمال دمشق) (الإصحاح الرابع عشر) ^(١) والأستاذ عباس محمود العقاد، قال في كتابه (عبرية المسيح): (هجرت بيت المقدس إلى شرق الأردن) (ص ١٤٨)، والشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب (ج ٥ و ٦ حزيران ١٩٩٢) كقوله في المدينة المنورة (من شرقها) ص ٣٢٥، وكقوله (جنوب ميناء جازان) ص ٣٤٧. والشاعر محمد مهدي الجواهري (الديوان ٢٤٦/٣):

لترك أفراح العراق شماله وجنوبه وشيبه وكهولا

٦- تذييل:

وقد وجدتُ من يقول (الشمال الإفريقي)، كقول الدكتور حسين مؤنس في مقدمة كتابه (فتح العرب للمغرب): (بدخول الشمال الإفريقي). وأنا أشنأ هذا

(١) مترجم الكتاب المقدس في الأصل هو اللغوي العلامة أحمد فارس الشدياق، ولكن ترجمته أشرف عليها أستاذ في جامعة أوكسفورد، فكان يلزمه بتغيير أكثر تعابير ترجمته لكي يفهمها العوام، ولكي تكون بعيدة من أسلوب القران، وبعد أن فرغ من الترجمة بلغه أن الأستاذ التوتونجي راجعها فغَيَّر كثيراً منها زاعماً أنه يصحح بذلك لغتها، فاحتفظ منه الشدياق، وشمته نثراً وشعراً، وأفحش في ذلك، فما أدري من كتب عبارة الكتاب المقدس: (شمال دمشق).

التعبير وإن كنت لا أميل إلى تخطئته، ذلك بأنني لم أر نظيراً له فيما قرأت من كتب السلف، وكأنه مقلوب. وقد مرّ بنا أن الطرمّاح قال: (شرقيّ بابل) ولم يقل: الشرق البابليّ، وأن الصغانيّ قال: (على غربيّ النيل) ولم يقل: على الغرب النيليّ، وأن الحمويّ قال: (في جنوبيّ حلب)، ولم يقل: في الجنوب الحلبيّ، وأن الصغانيّ قال: (شماليّ القاهرة)، ولم يقل: الشمال القاهريّ، فإن كان قول الدكتور حسين مؤنس حسناً فالأحسن أن يقول: بدخول شماليّ إفريقيا، أو: بدخول شمال إفريقيا. واستعمل من بعده (الشمال الإفريقيّ) أستاذ لغويّ، وذلك في مجلة اللغة العربية بدمشق (مج ٥٦ ج ٢ ص ٤١٠)، ومن أجل أنه لغويّ انتقدت عليه ذلك في المجلة نفسها، بأن قلت (استعمل في مقالته ما ليس بالمسموع كقوله: بلدان الشمال الإفريقيّ) (مج ٥٨ ج ٤ ص ٨٢٥)، ولم أزد ولم أوضح، وفي قوليّ ههنا زيادة على ما قلت، وإيضاح له، ولكل قولٍ إبان.

٧- ختام:

هذه القاعدة النحوية على ما أراه من صوابها، لو كانت طُعِمَتْ بمزيد من الشواهد الجاهلية والإسلامية لتشهد في فرعها لسائر الجهات الأربع أو لأكثرها لكانت أجود وأحمد، وقد مضت عليّ عدة سنين، وأنا في مدينة شفيهد بعيد من خزائن الكتب العربية، فتعذّر عليّ الاستزادة من الشواهد، ثم إنني وجدتني قد أخذت السن منّي، وتقعّق سنّي، وانحنت صغديّ، فرأيت أن أنشر القاعدة وهي على حالها هذه، وعسى أن يكرمها البصير في النحو واللغة بقبول حسن. فإن كان له ما يخالفني فيه، فأنا مُعِدٌّ لأن أتعلم منه، وعسى أن يكون محوطاً بنور العلم، ومنوطاً بنصح الجيب، لتحسن الفائدة، وتروق العائدة، وفوق كل ذي علم عليم.